وقع ، بعد ضغوط وتمهيدات ومناورات استمرت اكثر من سنة ، في كانون الثاني ١٩٥٥ . وبعد **شهر فقط** شنت اسرائيل هذه الغارة ، التي لا سابق لحجمها في حوادث الحدود بين مصر واسرائيل . لقد أرادت الامبريالية ، عبر اسرائيل وبواسطتها ، أن تلقن عبد الناصر درسا بسبب موقفه من حلف بغداد . والتقط عبد الناصر المحتوى السياسي لهذه الغارة ، التي كانت نقطة تحول حاسمة في تطور ثورة ٢٣ يوليو(١٦) ، فشن هجوما استراتيجيا ( اذا صح التعبير ) على الجبهة الامبريالية ، مترافقا مع تراجع تكتيكي ، غير ناجح ، على الجبهة الاسرائيلية(١٧) .

لقد أثارت هذه الغارة الاسرائيلية على غزة ما يشبه الزلزال في تطور الحياة العربية والثورة العربية . فالشعب العربي ، الذي كان شبه مستكن داخل بيضة ذات قشرة صلبة ، هي القشرة الامبريالية ، كسر هذه القشرة ، بيد عبدالناصر ، لكي يكتشف ان في العالم عالما آخر غير الغرب الامبريالي . ان عبدالناصر ، عندما اشترى السلاح من الدول الاشتراكية ، لم يأت بالسلاح فحسب ، بل جاء برؤية جديدة للعرب ، وذلك لانه « حرك أمرا كان الشعب المصري ( والعربي ) محروما منه منذ زمن طويل ، الا وهو الايمان بوجود حرية أو حل خارج الاطار الاستعماري او نصف الاستعماري »(١٨) .

هذه الغارة اذن كانت نقطة انطلاق سلسلة احداث ، أمسكت برقاب بعضها بعضا وصولا الى ثورة ١٤ تموز في العراق ، مرورا باستيراد السلاح من الدول الاشتراكية وتأميم قناة السويس والصراع ضد مبدأ ايزنهاور وافشاله وقيام وحدة العام ١٩٥٨ بين مصر وسوريا . وهكذا أكدت قضية فلسطين من جديد مكانها المركزي في الثورة العربية: لقد كانت حجر الانهيار بالنسبة لانظمة وأوضاع العام ١٩٤٨ ، وها هي في العام ١٩٥٥ تصبح رافعة الثورة العربية في انطلاقتها الجديدة .

حصول مصر على السلاح ، متزامنا ومترافقا مع اضطرام الصراع بين الحركة القومية العربية بقيادة عبد الناصر وبين الامبريالية ، وشعور اسرائيل ان في مصر محاولة جادة لبناء دولة حديثة ، جعلها — اي اسرائيل — تتجه لضرب هذه القوة الصاعدة قبل ان تقف على قدميها .

لا شك ان وصول بن غوريون الى رئاسة الوزارة في ٢١ شباط ١٩٥٥ ، بعد اقصاء موشي شاريت الذي كان من انصار تكتيك مرن ازاء العرب ، كان سببا مباشرا في تنظيم عدوان ٢٨ شباط على غزة ، ولكن من الخرق الاعتقاد ان المسألة هي مسألة مجيء فريق متصلب ، فريق الصقور ، وابعاد فريق مرن مسالم ، فريق الحمائم ، كما يميل الى ذلك تفسيرا رودنسون وفانشتوك(١٩) والعديد من اليساريين الاوروبيين والعرب . ينبغي ان ينظر الى عودة بن غوريون من زاوية اشتداد الصراع بين الحركة القومية العربية والامبريالية باحلافها ومشاريعها ، وبالاضافة الى ذلك فان بن غوريون ليس مجرد زعيم فريق متصلب ، بل ان عودته الى رئاسة الوزارة في الفترات الحاسمة (وان ينفذ خصومه سياسته . مثلا : اشكول في حرب حزيران ١٩٦٧ ) انما يعني انه هو الشخص الذي يجسد حقيقة اسرائيل ومصيرها ، وانه رجلها التاريخي ، وهو وحده ( ومدرسته بالتالي ) من بين الساسة الاسرائيليين الذي يرى ببصيرة ، رغم أوهامه الايديولوجية ، المسار التاريخي للصراع العربي — الاسرائيلي .

قبل ان نتابع سرد الاحداث الهامة وصولا الى عدوان العام ١٩٥٦ الثلاثي لا بد من الاشارة الى ان اسرائيل ، فضلا عن محاولتها منع جلاء القوات الانكليزية عن مصر ( حادثة لافون ) ، كانت مصممة منذ العام ١٩٥٤ على ضرب مصر عسكريا ، وكان ثمة خطة اسرائيلية فرنسية بهذا الشأن(٢٠)، كما ان بن غوريون طلب الى دايان ، الذي كان